تفسير تحليلي
لسورة الشمس

إعداد

د / عبد الظاهر عبد الباري علي عبيد
مدرس في قسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف

المقـــدمـــة

الحمد الله رب العالمين . أنزل كتابه الكريم عل نبينه الأمين – صلى الله عليه وسلم – فجعله نوراً مبيناً .

قال الله تعالى :﴿.....قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ... الآية﴾"[1]"

والصـــلاة والســـلام على رسول اله خاتم الأنبياء والمرسلين ، بلغ ما أنـــزل إليـــه من ربه ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه وهداهـــم إليه صراطاً مستقيماً ، فأقام ، عليهم الحجة وكان فضل الله عليه عظيماً .

﴿ ثـم أما بعـــد ﴾

- فـــإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم طريق وأوضح سبيل فمن أمن به فقـــد أستمســـك بالعـــروة الوثقى التي لا أنفصام لها ، ومن لم يؤمـــن بـــه فقـــد التبست عليه الطرق وتشعبت عليه الأهواء واســـتغلقت عـــليه الأمور قال الله تعالى ﴿ وأن هذا صرا طي مســـتقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾"[2]" .
- فالقرآن الكريم هو مأدبة الله في أرضه فضل الله تعالى به هذه الأمـــة المحمدية على غيرها من الأمم ، فعن عثمان بن عفان

---

(١) سورة المائدة الآية /١٥ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

رضـــي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : – خيركم أو أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه "[1]".

- ومما ورد في فضائل القرآن ما أخرجه الترمذي بسنده عن أبي ســـعيد، قـــال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقول الرب ، تبارك وتعالى –:من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . قال : وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ""[2] .
- ولقارئ القرآن ثواب عظيم ، روى مسلم عن عائشة – رضي الله عـــنها – قـــالت : قال رسول الله صلى الله علية وسلم :– الماهـــر بالقـــرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران "[3] .
- والتفســـير هـــو بيـــان المراد باللفظ والتأويل هو بيان المراد بالمعنى : وذهب جماعة من العلماء : أنهما بمعنى واحد ، وقد ورد في فضل تفسير كتاب الله وأهله أخبار كثيرة منها ما ورد أن عـــلياً – رضـــي الله عنه – ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعـــلم ، فقال له رجل : جعلت فداءك تصف جابر بالعلم وأنت أنـــت ؟ فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ..... ﴾"[4] .

---

(١) صحيح الترمذي جـ٥ كتاب فضائل الأعمال باب ١٥ ما جاء في تعليم القرآن ح ٢٩٠٨ / ١٦٠ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

(٢) الترميذي : جـ٥ ح٢٩٢٦ / ١٦٩ .

(٣) القرطبي جـ ٧/١ .

(٤) سورة القصص الآية / ٨٥ .

وقال مجاهد: أحب الخلق إلى الله – تعالى – أعلمهم بما أنزل ، وقـارئ القـرآن الذي لا يفهم معناه شخص مضطرب حائر لا يهـتدي إلى شـيء كمـا قال أياس بن معاوية : (مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب مـن مـلكهم ليـلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب)"[1]".

- وسـورة " الشمس " التي نعرضها شرحاً وتفسيراً تدور حول مقاصد أساسية منها .

أولاً : مشـاهد أكون العجيبة والظواهر الطبيعية الفريدة التي تبدأ بها السورة .

ثانياً : علاقـة هـذه الظواهـر الكونيـة بحقيقة النفس البشرية واسـتعداداتها الفطرية ودور الإنسان في شأن ذاته ونفسه وتبعته في مصير هذه الحقيقة التي يربطها سياق السورة الكريمة بالآيات الكونية ومشاهدها الثابتة .

ثالثاً : تضـمنت السـورة قصة ثمود وما حدث لهم بعد التكذيب لنبييهم المرسل إليهم ، وعقر الناقة ومصرعها بعد ذلك وزوالها .

رابعاً : بيـان نمـوذج من خيبة الأمل التي تقع على من لا يزكي نفسه ويدعها للهوى والفجور ولا يلزمها بتقوى الله .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي جـ ٢٦/١ .

خامساً : قسم الله – سبحانه وتعالى – بهذه الخلائق والمشاهد الكونية كما أقسم سبحانه بالنفس وتسويتها وإلهامها فجورها وتقواها .

سادساً : رحمة الله – تعالى – بالإنسان فلم يدعه لاستعداد فطرته فأرسل إليه بالرسالات التي تهديه إلى أقوم السبل .

- هذا وقد نهجت في تفسيري لسورة الشمس هذا المنهج :

أولاً : التعريف بالسورة وذكر مناسبتها لما قبلها وما بعدها وعدد آياتها .

ثانياً : بيان المكي والمدني من آيات السورة .

ثالثاً : ذكر المعنى العام للآيات .

رابعاً : بيان أوجه البلاغة والإعراب في المواضع التي تحتاج إلى ذلك.

وقد قسمت ذلك إلى مطلبين :

المطلب الأول : وهو بعنوان : آيات الله الكونية والقسم بها ، ويشمل الآيات من قوله تعالى : ﴿ والشمس وضحاها ﴾"[1]" إلى قوله تعالى : ﴿ وقد خاب من دساها ﴾"[2]" .

المطلب الثاني : وهو بعنوان : هلاك قوم ثمود بتكذيبهم لنبيهم والعبرة منه : ويشمل الآيات من قوله تعالى : ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ "[3]" إلى قوله تعالى ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ "[4]"

---

(١) سورة الشمس : الآية ١

(٢) سورة الشمس الآية ١٠ .

(٣) سورة الشمس الآية ١١ .

(٤) سورة الشمس الآية ١٥ .

المطلب الأول

آيات الله الكونية وقسم الله بها :

قال الله تعالى : ﴿ والشمس وضحها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقوها *قد أفلح من ذكاها * وقد خاب من دساها ﴾"[1]" .

ترتيب السورة وعدد آياتها :

هذه السورة الكريمة هي السورة الحادية والتسعون في ترتيب السور في كتاب الله – تعالى – تتوسط سورة البلد (وهي من قصار السور ذات الفاصلة الواحدة والإيقاع الموحد ، تتضمن عدة لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره التي تبدأ بها السورة والتي تظهر كأنها إطار للحقيقة الكبيرة التي تتضمنها هذه السورة)"[2]".

قال العلامة النيسابوري : (سورة الشمس مكية وحروفها مائتان وستة وأربعون – كلمها – أربع وخمسون – آياتها خمس عشر)"[3]" .

وقال الأمام الألوسي : (مكية بلا خلاف وآياتها ست عشرة آية في المكي والمدني الأول وخمس عشر في الباقية)"[4]" .

وهي تتضمن الحث على تزكية النفس على أن العذاب واقع على المكذبين لا شك فيه كما وقع على أصحاب الناقة .

---

(١) سورة الشمس الآية : (١-١٥) .
(٢) في ظلال القرآن سيد قطب جـ٦/٣٩١٥ بتصرف يسير .
(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامه نظام الدين الحسن بن القمي النيسابوري جـ١٢ / ٩٧ .
(٤) روح المعاني للألوسي جـ٣٠/١٤٠

وقـــال الأمام الواحدي : (سورة الشمس نزلت بمكة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ)"[1]" .

المعنى العام للآيـــات :

قـــال الله تعـــالى : ﴿ والشـــمس وضـــحها * والقمر إذا تلاها *والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾"[2]" .

- فـــي هـــذا المقطع من السورة الكريمة يقسم الحق – سبحانه وتعالى – بالشمس وهو ذلك الكوكب الدري الذي جعله الله مع القـــوة والضخامة وكبر الحجم كوكب سيار يدور حول نفسه ثم يدور حول الأرض وقدر له منازل : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقد=ير العزيز العليم ﴾"[3]" .
- ثم يقسم – سبحانه وتعالى – بضحاها أي ضوئها وأشعتها وما فـــي ذلـــك من المنافع المادية للإنسان ، حيث إن الشمس هي مصدر الحركة ومبعث الحياة للإنسان .

وأقســـم الله – تعـــالى – بالقمر أيضاً وذلك الكوكب العجيب إذا تلاها في ارتباط مصالح البشر وأضاءة الكون ليلاً وبيان المواقيت المقدرة وتعليم الحساب .

---

(١) الناسخ والمنسوخ جـ١/٣٢٧.
(٢) سورة الشمس الآية : ١-١٠
(٣) سورة يس الآية ٣٨

قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق لنهار وكل في فلك يسبحون ﴾"[1]" .

ويقسم أيضاً بالنهار إذا جلاها ، أي جلى الدنيا عن الظلمة ثم أقسم بالليل إذا يغشاها أي الشمس يغطي ضوؤها وهو مشهد له والنفس البشرية واقع الحس وله في الحياة أثر بليغ كالنهار سواء بسواء .

- وهكذا يكرر الله – سبحانه وتعالى – القسم بالسماء وبنائها وما بها من نجوم وكواكب سيارة سابحة في أفلاكها ومداراتها كل على حسب تقدير الله له ، وهذه حقائق يراها الإنسان ولا يدر بها فكيف تماسك هذا البنيان ؟ وما الذي يمسك أجزاء هذه الأشياء فلا تنخرط؟ .
- كذلك يقسم الله تعالى بالأرض وطوحها إذ جعلها بسيطة ممتدة بما فيها من متاع للإنسان يستعمر جوانبها ويسخر خيراتها ويد الله عز وجل هي وحدها التي تولت هذا النظام البديع .
- ثم يأتي بعد هذا كله القسم من الله – تعالى – بالنفس وكيف ركبها القادر – جل في علاه – في الإنسان وسواها ثم جعل لها إستعدادها الفطري فكانت أعظم دليل على قدرة الله – تعالى – في خلقه وكونه،قال الله تعالى:﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾"[2]" ثم بين لها الخير والشر فألهمها فجورها وسواها .

---

(١) سورة يس الآية (٣٩-٤٠) .
(٢) سورة الداريات الآية : ٢١ .

- قـــال الإمام ابن كثير (..... عن أبي الأسود الديلي قال : قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيـــه أشـــيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أو فيما يســـتقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم – وأكدت عـــليه الحجة ؟ قلت بلى شيء قضى عليهم ، قال : فهل يكون ذلـــك ظـــلماً ؟ قال ففزعت منه فزعاً شديداً قال : قلت له ليس شيء إلا هو خلقه وملك يده (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) قـــال سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك أن رجلاً من مزينة أو جهنية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم – وأكدت عليهم الحجة ؟ قال : بـــل شيء قد قضي عليهم ، فقال : ففيم العمل ؟ قال : من كان خـــلقه لإحـــدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى "[1]" : " ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها "[2]".
- ثـــم يثبت الله – تعالى – الفلاح والفوز لمن زكى نفسه بتقوى الله ..

ذكـــر ابـــن كثير : – .....من حديث الطبراني ..... عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : جـــ٤/٥١٧ .
(٢) سورة الشمس الآيات (٧-٨) .

﴿ ونفس وما سواها * فألهما فجورها وتقواها﴾"[1]" وقف ثم قال : (اللهم آت نفس تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها)"[2]".

- وقد خاب وخسر من دساها حتى جعلها في عداد نفوس الحيوانات ، فالإنسان يرتفع عن الحيوان بتحكيم العقل والسمو بالنفس عن مزالق الشهوات أما إذا إنحط إلى المعاصي وحكم الشهوة في نفسة كان هو والحيوان سواء ويصدق عليه أنه دسى نفسه وانقص مراتبتها وجعلها في عداد نفوس الحيوانات التي تحكمها شهواتها لا عقلها ..
- أقسم الله بذلك كله والمقسم عليه محذوف لتذهب فيه النفس كل مذهب ، وتقديره لتبعثن أو يحاسبن المسيء على إساءته ، والمحسن على إحسانه وربما كان هذا هو الظاهر والدليل عليه هو ذكر قصة ثمود هنا وقيل أن الجواب (قد أفلح من ذكاها)"[3]" واللام حذفت منه وقصة ثمود مع نبيهم صالح ذكرت قبل هذا"[4]".

المفردات والتراكيب :

قال مجاهد : ضحاها ضوءها ، إذا تلاها: تبعها ، وطحاها : دماها ودساها : أغواها ، فألهمها : عرفها الشقاء والسعادة ، وقال مجاهد بطغواها : بمعاصيها ، ولا يخاف عقباها : عقبى أحد . قال ابن

---

(١) سورة الشمس الآيات (٧-٨)
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤/٥١٧ ط دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة .
(٣) سورة الشمس الآية ٩
(٤) التفسير الواضح . د/ محمد محمود حجازي جـ ٣/٥٩ ط التاسعة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م دار التفسير للطبع والنشر .

حجـــر : ثـــبت هذا كله للنسفي وحده ، وقد أخرجه الطبري من طريق مجاهد في قوله : (ولا يخاف عقباها) عقبى أحد ، وصلة الفريابي ، عن طريق مجاهد قوله (ولا يخاف عقباها) الله لا يخاف عقبى أحد ، وهـــو مضـــبوط بفتح الألف والمهملة وفي بعض النسخ بسكون الخاء المعجمـــة بعدهـــا ذال معجمة ، قال الفراء : قرأ أهل البصرة والكوفة بـــالواو وأهل المدينة بالفاء " فلا يخاف " قالوا وصفة العاقر أي عقر ولم يخف عاقبة عقرها ، أو المراد لا يخاف الله أن يرجع بعد إهلاكها فالفـــاء عـــلى هـــذا أجود ، والضمير في عقباها للدمدمة أو لثمود أو للـــنفس المقـــدم ذكـــرها ، والدمدمة الهلاك العام ، قوله (بطغواها : معاصـــيها) وصـــلة الفـــريابي من طريق مجاهد بلفظ معصيتها وهو الوجه ، والطغوى بفتح الطاء والقصر الطغيان ، ويحتمل في الباء أن تكـــون للاســـتعانة وللســـبب أو المعـــنى كذبـــت بالعذاب الناشئ عن طغيانها"[1]" .

الشـــرح والتحليـــل :

قـــال الله تعـــالى : ﴿ والشـــمس وضـــحها * والقمر إذا تلاها *والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾"[2]" .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٨/٦٥ كتاب التفسير ٩١ " والشمس وضحاها " ح ٤٩٤٢ / ٥٧٥ ط الريان للتراث العربي .

(٢) سورة الشمس الآية : ١-١٠

- هـذا القسـم فـي مطـلع السورة الكريمة يضم هذه المشاهد والخلائـق الكونيـة للعـبرة والعظى وحين يقسم الله سبحانه وتعـالى بهـذه الأشـياء فإنه يفتح المجال أمام العقل البشري ليـتدبر في كون الله وليرى الآيات والحجج والعبر التي تشهد بوحدانية الله – تعالى – وبقدرته المطلقة .

قـال ابـن جريـر الطبري : قوله قال الله تعالى : ﴿ والشمس وضـحها ﴾ قـد أقسم ربنا – تعالى ذكره – بالشمس وضحاها ومعنى الكلام ، أقسم بالشمس وبضحى الشمس واختلف أهل التأويل في معنى قولـه :﴿ وضحها ﴾ فقال بعضهم معنى ذلك : والشمس والنهار وكان يقـول الضـحى هـو النهار كله ذكر من قال ذلك " حدثنا بشر قال : ..... عـن قـتادة : (والشمس وضحاها) قال هذا النهار ، وقال آخـرون معـنى ذلك وضوئها ذكر من قال ذلك ..... عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ قال : ضوئها.

والصواب من القول في ذلك أن يقال : أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار "[1]" .

وقـال الإمام الألوسي : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ والشمس وضـحاها ﴾ أي ضـوئها كما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس والمـراد : إذا أشـرقت وقـام سلطانها وقال بعض المحققين حقيقة الضحى تباعد الشمس عن الأفق الشرقي المرئي وبروزها للناظرين ثم صـار حقيقة في وقته ثم أنه قبل لأول الوقت ضحوة ولما يليه ضحى

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري جـ ١٢ ، الجزء ١٣٣/٣٠ ط ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م دار الحديث بالقاهرة .

ولمـــا بعـــده إلى قـــريب الـــزوال ضحاء بالفتح والمد فإذا أضيف إلى الشمس فهو مجاز عن إشراقها كما هنا.

ونقل عن المبرد أن الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس والألـــف مقلوبة من الحاء الثانية وكذلك الواو من ضحوة مقلوبة منها وتعقـــبه أبـــو حيان بقوله : لعله مختلق عليه لأن المبرد أجل من أن يذهـــب إلى هذا وهذان مادتان مختلفتان لا تشتق أحدهما عن الأخرى وأجيـــب بأنـــه لـــم يرد الاشتقاق الصغير ولا يخفي حاله على الصغير والكـــبير وعـــن مقاتل أن (ضحاها) حرها وهو تفسير باللازم وعن مقاتل المراد به النهار كله وفيه أنه تعالى قسم به بعد ذلك "[1]" .

وقال أبو حيان : بسم الله الرحمن الرحيم " والشمس وضحاها " هـــذه الســـورة مكية ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدهـــا أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي وبما هو له الـــتفكير فـــي ذلك وهو النفس وكان أخر ما قبلها مختتماً بشيء من أموال الكفار في الآخرة إلى النار في الدنيا إلى الهلاك المستأصل"[2]" .

قـــال صـــاحب الظـــلال : وهـــنا نجد القسم الموحي بالشمس وضـــحاها .... بالشمس عامة وحين نضحي ونرتفع إلى الأفق بصفة خاصـــة وهـــي أروق ما تكون في هذه الفترة وأحلى في الشتاء يكون وقـــت الدفء المستحب الناعش ، وفي الصيف وقت الإشراق الرائق وقـــت الظهيـــرة وقيظهـــا . فالشـــمس في الضحى في أروق أوقاتها

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المعاني للعلامة الألوسي البغدادي جـ ١٤/٣٠ ط الرابعة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) النهر الماد من البحر المحيط لأبي حسان الجزء الثاني جـ ١٢٦٩/٢ ط دار الجنان مؤسسة الكتب الثقافية .

وأصافها وقد ورد أن المقصود بالضحى هو النهار كله ، ولكننا لا نرى ضرورة للعدول على المعنى القريب للضحى وهو ذو دلالة خاصة كما رأينا "[1]" .

بيـــان المراد من قوله تعالى : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾"[2]"

- أقســم الحــق – ســبحانه وتعالى – بالقمر إذا تلاها أي تلى الشمس في ارتباط مصالح الناس به وتبيين المواقيت وإضاءة الكــون ومــن هنا جاء العلم بمعرفة حساب السنين إما بالسنة الشمســية والقمــر كما هو معروف يتلو الشمس ولأنه يستمد نــوره مــنها ، فالحق – سبحانه وتعالى – في هذه الآية أقسم بالقمــر ونــوره كيــف ينشأ صغيراً ثم يكبر ثم يعود صغيراً صــغيراً حــتى المحــاق وهذا الليل بجحافله وسكونه وهدونه ومــوت الطــبيعة فيه ثم يأتي الصبح بأضوائه اللامعة ووجهه المشرق وحياته الحافلة .

قــال الإمــام أبوالسعود : (والقمر إذا تلاها)"[3]" بأن طلع بعد غروبها وقيل إذا تلا طلوعه طلوعها .

وقيل : إذا تلاها في الاستدارة وكمال النور "[4]" وقال ابن كثير : يتلو النهار . وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٦ / ٣٩١٦ ط السابعة عشر ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٢ م دار الشروق .
(٢) سورة الشمس الآية ٢ .
(٣) المرجع السابق
(٤) تفسير أبو السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم بتحقيق عبد القادر أحمد عطا جـ ٥ / ٥٣٧ ط الثانية ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م دار الفكر للطباعة بيروت .

الهـــلال . وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ثم هي تتـــلوه وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر "[1]" .

المـراد بقولـه تعالـى : ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾

قـــال ابن حبان : (الظاهر أن مفعول جلاها وهو الضمير عائد عـــلى الشـــمس لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الإنجلاء) "[2]" .

- فالحق سبحانه وتعالى : يقسم بالنهارإذا جلاها .. " مما يوحي بـــأن المقصـــود بالضـــحى هـــو الفترة الخاصة لا كل النهار والضـــمير في "جلاها " الظاهر أن يعود إلى الشمس المذكورة فـــي الســـياق ... ولكن الإيحاء القرآني يشير بأنه ضمير هذه البسيطة . وللأسلوب القرآني إيحاءات جانبية كهذه مضمرة في لســـياق لأنهـــا معهودة في الحس البشري ، يستدعيها التعبير اســـتدعاء خفيـــا فالنهار يجلي لبسيطة ويكشفها . وللنهار في حيـــاة الإنســـان بطول التكرار جمال النهار وأثره فهذه اللمسة الســـريعة فـــي مثل هذا السياق توقظة وتبعثه للتأمل في هذه لظاهرة الكبرى "[3]" .
- وقال ابن حرير : " عن قتادة : (والنهار إذا جلاها) قال : إذا غشيه النهار وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ ٤/ ٥١٦ ط دار الثقافة لنشر والتوزيع .
(٢) تفسير النهر لماد الأدبي حبان جـ ٢ / ١٩٧٠ .
(٣) في ظلال القرآن جـ ٦ / ٣٩١٦ .

إذا جلاهـــا الظـــلمة وبجعل الهاء والآلف من جلاها كناية من الظـــلمة ويقـــول : إنما جاز الكناية عنها ولم يجر لها ذكر قبل لآن معناها معروف كما يعرف معنى قول القائل أصبحت باردة وأمست باردة وهبت شمالاً فكنى عن مؤنثات لم يجرها ذكر إذا كـــان معروفاً معناهن . والصواب عندنا في ذلك قاله أهل العلم الذيـــن حكيـــنا قولهم لأنهم أعلم بذلك وإن كان للذي قاله من ذكرنا قوله في أهل العربية وجهه " "[1] .

بيان المراد من قوله تعالى : ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾"[2]"

- قـــال الإمـــام أبـــو السعود : ("والليل إذا يغشاها" أي الشمس فيغطـــي ضـــوؤها أو الآفـــاق أو الأرض وحيث كانت الواوات العاطفـــة نوائب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء ســـادة مســـدهما معاً في قولك أقسم بالله حقق أن يعلمن عمل الفعل والجار جميعاً كما نقول ضرب زيد عمرا وبكر وخالد "[3]".
- وقـــال ابـــن حيان في النهر : (الظاهر أن مفعول جلاها وهو الضـــمير عائد على الشمس لأنه عند انبساط النهار تنجلي في ذلك الوقت تمام الإنجلاء)"[4]" .
- وذكـــر الألوســـي : (أي جلى النهار الشمس أي أظهرها فإنها تنجلي وتظهر إذا انبسط النهار ومضى منه مدة الإسناد مجازي

---

(١) تفسير الطبري جـ ١٢/ ١٣٣ .
(٢) سورة الشمس الآية / ٤ .
(٣) تفسير أبي السعود جـ ٥ / ٥٣٧ .
(٤) النهر المد من البحر المحيط جـ ٢/ ١٢٧٠ .

كالإسناد في نحو صام نهاره وقيل الضمير المنصوب يعود على الأرض وقيل على الدنيا والمراد بها وجه الأرض وما عليه وقيل يعود على الظلمة " وجلاها " حينئذ بمعنى أزلها وعدم ذكر المرجع على هذه الأقوال للعلم به والأول وأولى لذكر المرجع واتساق الضمائر وجوز بعضهم أن يكون الضمير المرفوع المستتر في جلاها عليه عائداً على الله عز وجل كأنه قيل والنهار إذا جلى الله تعالى الشمس فيكون قد أقسم سبحانه وتعالى بالنهار في أكمل حالاته وهو كما ترى)"[1] .

- أقسم الله – تعالى – بعد ذلك بالليل إذا يغشى الشمس ويستر ضوءها عنها فالنهار يظهرها والليل يسترها . فسبحان من خلق هذا وفي هذا تنبيه على أن الشمس ما دام يسترها الليل ويجلبها النهار فلا تعقل أن تكون إلهاً .

قال ابن حيان : (" والليل إذا يغشاها " أي يغشى الشمس فبدخو له تغيب وتظلم الآفاق ونسبة ذلك إلى الليل مجاز وأتى بالمضارع في يغشاها لأنه الذي يترتب فيه ولذا أتى بالماضي كالذي قبله وبعده كأن يكون التركيب إذا غشيها فتفوت الفاصلة وهي مقصودة وما في بناها وما طحاها وما سواها بمعنى الذي وقيل مصدرية قال الزمخشري : فإن قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفساً خاصة من النفوس وهي نفس آدم–عليه السلام– كأنه قال : واحدة من النفوس) "[2]" أ.هـ .

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي جـ ٣٠ / ٥٤١ .
(٢) النهر الماد لأبي حيان جـ٢ / ١٢٧٠ .

- فالله عز وجل قد أنبأ بالحركة الذاتية للشمس ليكون فيها وفي الإنـــباء بها آية للناس فمن المعقول أن يدل الله في كتاب على الحـــركة الذاتيـــة للأرض التي يخلق بها سبحانه هذه الحركة الظاهـــرة لشـــمس . ليكون في الدلالة على حركة الأرض في القـــرآن آية أخرى للناس تهدي إلى الله ، وتشهد للقرآن مرة أخرى أنه حقاً من عند الله . فقد لبث الناس عامتهم وخاصتهم قرونا بعد نزول القرآن وهم يعتقدون أن الأرض ثابتة لا حراك بهـــا ، إذا ليـــس لـــلأرض حركة محسوسة في لظاهر كحركة الشمس النسبية من المشرق إلى المغرب ، التي فسرها فلاسفة اليونـــان تفســـيرهم الـــذي خطأه علم الفلك لحديث من جميع الوجوه ...
- ومـــن أعجـــب المظاهـــر المن والحث مجتمعين القسم : قسم الخالق سبحانه بمخلوقاته حين غفل الناس عن آياته فيها . لما تعودوا وألقوا فيها حتى غطت العادة والآلفة على مواقع النعمة ، ومواطن الحكمة ، ومواطن الحكمة ، ومواضع العبرة ، فيما خـــلق عـــبادة ، فإذا أقسم الله في كتابه العزيز بالليل وبالصبح وبالضـــحى وبالـــنهار ، أفـــلا يكون في هذا أكبر داع لهم أن يتأمـــلوها ويتساءلون : فإذا أودع الله فيها من مجالي حكمته ومظاهـــر عظمته وقدرته . وحتى استحقت أن يقسم لعباده بها وهـــو خـــالقهم وخالقها ؟ فإذا بحثوا وعرفوا أنها ناشئة عن

حـــركة لـــلأرض فـــي كل يوم أمام الشمس أفلا يكون في ذلك القسم دليل إلى تلك الحركة ...

- مـــن أجل هذا جاء القسم بالنهار إذا جلى الشمس وليس القمر نهـــار كـــالذي نعرفه على الأرض تتجلى فيه الشمس ، فسماء القمـــر تظل مظلمة في نهاره الطويل طول نصف شهر عندنا ، كما هو الحال في نهارنا أيضاً إذا علونا الغلاف الجوي بهوائه وسحبه كما استنتجته العلماء من أن الضوء لا يرى بذاته ولكن بالانعكاس عن المرئيات "[1]" .
- والإنســـان أحوج ما يكون إلى زيادة هذه المقدرة عندما ينظر فـــي الآيـــات التي أقسم إله فيها ببعض ما خلق ، ليفلت عباده إلى ما في المقسم به من آية له سبحانه في الخلق ، ليطلبوها عـــن طريق البحث العلمي القرآني إذا تهيأ لهم ذلك في عصور عـــلم الله أن ســـتكون ، إذ القرآن مخاطب به من بلغ في كل العصور وآيات القسم كثيرة في الآيات الكونية القرآنية ، ومن لا يدرك شيئاً من أسرار الخلق فيها يدرك لا شك بعض ما فيها من نعم الله على الناس .. "[2]" .
- وآيـــات القســـم من سورة الشمس والتي خلت كلها من ضمير الجلالـــة للمتكـــلم يكفي في درء الشبهة فيها عن الأدلة القسم فيهـــا جلال المعنى الذي لا يمكن في السورة كلها أن يكون من

---

(١) الإسلام في عصر العلم د / محمد أحمد الغمراوي جـ ١ / (٢٢١- ٢٢٣) ط الرابعة ١٤١١ هـ. ١٩٩١م دار الإنسان .

(٢) المرجع السابق جـ ١ / ١٩٠ – ١٩١ بتصرف يسير

عند البشر وإن كان هذا أظهر في القصص في آخرها منه في القسم في أولها فإن كان لا بد من ضمير للمتكلم يستند إلى دلالته فهو موجود متكرر في " سورة البلد " قبلها وسور القرآن ترتيبها توفيقي كما هو معروف "[1]" .

المراد بقوله تعالى:﴿ والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها ﴾"[2]"

قال ابن جرير : (وقوله : والسماء وما بناها " بقول جل ثناؤه والسماء ومن بناها يعني ومن خلقها وبناؤه إياها تصييره إياه للأرض سقفاً وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك ..... عن قتادة : والسماء وما بناها وبناؤها خلقها ... وعن مجاهد قوله والسماء وما بناها قال الله بنى السماء وقيل : وما بناها وهو جل ثناؤه بأنيها فوضع ما في موضع من كما قال : ووالد وما ولد " فوضع ما في موضع من ومعناه : ومن ولد لأنه قسم أقسم بآدم وولده .... وجائز توجيه ذلك إلى معنى المصدر كأنه قال : والسماء وبناها ووالد وولادته ، وقوله : والأرض وما طحاها " وهذا أيضاً نظير التي قبلها ومعنى الكلام : والأرض ومن طحاها ومعنى قوله : طحاها بسطها يمينا وشمالاً ومن كل جانب وقد اختلف أهل التأويل معنى قوله فقال بعضهم معنى ذلك والأرض وما خلق فيها ذكر من قال ذلك .....

---

(١) الإسلام في عصر العلم الحديث جـ ١ /١٩١ .
(٢) سورة الشمس الآية / ٥ـ ٦ .

قـــال ابـــن عباس : والأرض وما طحاها يقول : ما خلق فيها وقال آخرون وقال آخرون يعني بذلك وما بسطها "[1]" .

وقال الإمام ابن كثير : يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والســـماء وبـــنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعني والســـماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى : "والسماء بنيناها بأيد " ..... وكذلك قوله تعالى : " والأرض وما طحاها " قال مجاهد طحاها دحاها ، قال العوفي عن ابن عباس (وما طحاها) أي خلق فيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عـباس : ضـــحاها قســـمها وقـــال مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والـــثوري وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعرف عند أهل اللغة قال الجوهري طحوته مثل دحوته أي بسطته"[2]" .

المراد بقوله تعالى : ﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾"[3]"

- قال صاحب الظلال : وهذه الآيات الأربع ، بالإضافة إلى سورة البلد السابقة (وهديناه النجدين)"[4]" .... وأية سورة الإنسان : (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كافورا)"[5]" .... تمثل قاعدة النظرية النفسية للإسلام ... وهي مرتبطة ومكملة للآيات التي

---

(١) ابن جرير جـ ١٢ / (١٣٣ ـ ١٣٤) .
(٢) ابن كثير جـ ٥١٦/٤ .
(٣) سورة الشمس الآية (٧- ١٠) .
(٤) سورة البلد الآية ١٠ .
(٥) سورة الإنسان الآية : ٣.

تشير إلى إزدواج طبيعة الإنسان ، كقوله تعالى في سورة ص : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾"[1]" كما أنها مرتبطة ومكملة للآيات التي تقرر التبعة الفرديه : كقوله تعالى في سورة المدثر : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة﴾"[2]" ..... والآيات التي تقرر أن الله يرتب تصرفه بالإنسان على واقع هذا الإنسان ، كقوله تعالى في سورة الرعد ....﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾"[3]"

- ومن خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها .... إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد ، مزدوج الاتجاه ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينية (من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال ، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر ، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء ، وأن هذه القدرة كاملة في كيانه ، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة :﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ..... ويعبر عنها بالهداية تارة : ﴿ فهديناه النجدين ﴾ ... فهي كامنة في صحيحة في صورة

(١) سورة ص : الآية ٧١-٧٢ .
(٢) سورة المدثر : الآية ٣٨ .
(٣) سورة الرعد الآية ١١ .

استعداد .... والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجيهها هنا وهناك ، ولكنها لا تخلقها خلقاً ، لأنها مخلوقة فطرة ، وكائنة طبعاً وكامنة إلهاماً .

- وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واقية مدركة موجهة في ذات الإنسان ، هي التي تناط بها التبعية فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها ، وتغليبه على استعداد الشر ... فقد افلح . ومن أظلم هذه القوة وخباها وأضعفها فقد خاب : " فقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها " .....

وهناك إذن تبعية مترتبة على منح الإنسان هذه القوة الواعية القادرة على الاختبار والتوجيهه ، توجيه الاستعدادات الفطرية القابلة للنمو في حقل الخير وفي حقل الشر سواء ، فهي حرية تقابلها تبعة ، وقدرة يقابلها تكليف ، ومنحة يقابلها واجب ...

ورحمة من الله بالإنسان لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامي ، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف ، فأعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة ، وتكشف له عن موحيات الإيمان ، ودلائل الهدى في نفسه وفي الأفاق من حوله وتجلو عنه غواش الهدى فيبصر الحق في صورته الصحيحة ..... وبذلك يتضح له الطريق وضوحاً كاشفاً لا غبش فيه ولا شبهة فتنصرف القوة الواعية حينئذ عن بصيرة وإدراك لحقيقة الاتجاه الذي تختاره وتسير فيه وهذه في

جملـــتها هي مشيئة الله بالإنسان ، وكل ما يتم في دائرتها فهو محقق لمشيئة الله وقدره العام "[1]" .

قال أبو حبان : ("فألهمها" قال ابن عباس :عرفها ." قد أفلح " جواب للقسم وحذفت اللام لطول المعاطيف على القسم وزكاها طهرها ونماهـــا بـــالعمل الصالح ودساها أخفاها وحقرها بالمعاصي والتدسية الإخفـــاء أصله دسس فأبدل من ثالث المضاعف حروف علة والظاهر أن فاعل زكي ودس ضمير يعود على من ولما ذكر تعالى : خيبة من دس نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك وهي ثمود صالح ففعلت ذلك ليعتبرهم لأنهم أقرب البلاد إلى الحجاز) "[2]" .

وقال أبو السعود : (" ونفس وما سواها " أي أنشأها وأبدعها مســـتعدة لكمالاتهـــا والتـــنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه الســـلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب " فألهمها فجورها وتقواها " أي أفهمها إياها وعرفها حالها من الحسن والقبيح وما تؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل " فقـــد أفـــلح من زكاها" أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماهـــا وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله﴿ وقد خاب من دساها ﴾ لإبراز كمال الإعتناء .

بـــتحقيق مضمونه والإيذان بتعلق القسم به أيضاً أي خسر من تنقصها وأخفاها بالفجور وأصل دس دسس كتقض وتفضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى :﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ بطريق الاستطراد

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ / ٣٩١٧ ـ ٣٩١٨ .
(٢) النهر الماد من البحر المحيط جـ ٢/ ١٢٧٠ .

وإنمـــا الجواب ما حذف تعويلاً على دلالة قوله تعالى : " كذبت ثمود بطغواهـــا " عليه كأنه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رســـول اله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام وهو على الأول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى : ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله تعالى أوصله التكذيب أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى "[1]" .

وقـــال ابـــن جرير : قوله : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ يقول : قد أفـــلح مـــن زكى الله نفســـه فكـــثرها بتطهيرها من الكفر والمعاصي وأصـــلحها بالصـــالحات من الأعمال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل الـــتأويل ذكر من قال ذلك : ..... عن ابن عباس : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ يقول قد أفلح من زكى الله نفسه"[2]" .

- فالحق سبحانه وتعالى أقسم بالنفس والذي سواها وأحكم أمرها ومنحها القوى والغرائز التي تستكمل بها الحياة ، فترتب عليه ذلـــك أن خـــلق لها عقلاً يميز بين الخير والشر وذلك من تمام التسوية ، وأقدرها على فعل المعصية التي تهلكها والخير الذي ينجيها ويقيها من السوء ، قد أفلح من زكاها ونماها وأعلاها ، وقـــد خـــاب من خسر من دساها حتى جعلها في عداد نفوس الحيوانات .

---

(١) أبو السعود جـ ٥/٥٣٧ ـ ٥٣٨ .
(٢) ابن جرير جـ ١٢/١٣٥ .

المطلب الثاني

هلاك قوم ثمود بتكذيبهم لنبيهم والعبرة منه ويشمل الآيات :

قول الله تعالى : ﴿ كذبت ثمود بطغواها * إذا إنبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولا يخاف عقباها ﴾"[1]"

المفردات والتراكيب :

قال أبو حجر في الفتح : " ..... وقال مجاهد بطغواها : بمعاصيها ، ولا يخاف عقباها : عقبى أحد ... عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا انبعث أشاقها " انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة ... الحديث .

قوله : " ولا يخاف عقباها : بمعنى أحد وصلة الفريابي من طريق مجاهد في قوله : ولا يخاف عقباها : الله لا يخاف عقبى أحد ، وهو مضبوط بفتح الألف والمهملة ، وفي بعض النسخ بسكون الخاء المعجمة بعدها ذال معجمة ، قال الفراء : قرأ أهل البصرة والكوفة بالواو وأهل المدينة بالفاء " فلا يخاف " فالواو صفة العاقر أي عقر ولم يخف عاقبة عقرها ، أو المراد لا يخاف الله أن يرجع بعد إهلاكها فالفاء على هذا أجود ، والضمير في عقباها للدمدمة أو لثمود أو للنفس المقدم ذكرها والدمدمة الهلاك العام . قوله (بطغواها : معاصيها) وصلة الفريابي من طرق مجاهد بلفظ " ومعصيتها " وهو

---

(١) سورة الشمس الآيات : (١١ – ١٥) .

الوجـــه والطغوى بفتح الطاء والقصر الطغيان ، ويحتمل في الباء أن تكـــون للإســـتعانة وللســـبب ، أو المعنى كذبت بالعذاب الناشىء عن طغيانها "[1]" .

وقـــال أبـــن حيان : (" بطغواها " الباء سببية أي كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها قال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به حتى نـــزل بهم وهو من الطغيان قلبت فيه الواو ياء والياء واو فصلاً بين الإسم وبين الصفة .

"إذا إنـــبعث " أي خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص والناصبة لا وكذبـــت ، وأشـــقاها هو قدار بين سالف والضمير في لهم عائد على ثمود رسول الله وهو صالح عليه السلام وقرى : " ناقة الله " تنصب الـــتاء وهو منصوب على التحذير مما يجب إضمار عاملة لأنه عطف عـــليه فصـــار حكمـــه بالعطف حكم المكرر كقولك : الأسد الأسد أي احذروا ناقة الله أي عقرها وعاقبة أمرها أو وذزوا عقرها .

" وســـقياها " فـــلا تمنعوها من السقيا " فعقروها " أسند العقر للجميع لكونهم راضيين به ومتمالئين عليه ، فدمدم عليهم يقال : دمدم عليه القبر أطبقه وقال مؤرج الدمدمة الهلاك باستئصال وفي الصحاح دمدمـــت الشـــيء الصقته بالأرض وطحطحته ، " فسواها " أي سوى القبيلة في الهلاك عاد عليهم بالتأنيث كما عاد في بطغواها وقيل سوى الدمدمة أي سواها بينهم فلم يفلت منهم صغيراً ولا كبيراً والضمير في

---

(١) فتح الباري جـ٨ / كتاب التفسير / ٥٧٦ ح ٤٩٤٢ والترمذي جـ ٥ ك تفسير القرآن باب ٧٩ ج ٣٣٤٣ / ٤١ .

يخـــاف عائد على أشقاها آي انبعث بعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله بكفره وطغيانه والعقبى خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه"[1] .

المعنى العـام للآيـــات :

- كذبـــت ثمـــود وهم قوم نبي الله صالح بسبب طغيانهم وكفرهم حيـــن أنبعث أشقى القوم الذي عقر الناقة وكانت آية ومعجزة لهـــم من الله تعالى تأيداً لنبيه صالح عليه السلام وقد قال لهم رســـول الله صـــالح عليه السلام أحذروا ناقة الله وسقياها فلم يعتبروا بذلك فعمهم عذاب الله تعالى وأطبق عليهم ، ولم يترك مـــنهم أحداً لأنهم رضوا عن فعل صاحبهم ولم يأخذوا على يده لأنهـــم لـــم يتناهوا عن منكر بينهم فمن أجل هذا عمهم العذاب والله لا يخـــاف عاقبة ما فعل بهم لأنه عادل في حكمه و قوي قادر في عمله جعل من سنته الجزاء من جنس العمل .

ذكـر قصـة صالح عليه السـلام مع قوم ثمـــود :

- تحدثـــت هذه الآيات عن ذكر قصة نبي الله صالح عليه السلام مـــع قومـــه ثمود : " وهم قبيلة مشهور ة ، يقال لهم " ثمود " بأســـم جدهـــم ثمود أخي جديس ، وهما أبناء عاثر بن إرم بن ســـام بن نوح ، وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك وقد مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين وكانوا ابن عاد ،

---

(١) النهر الماد جـ ٢ / ١٢٧٠- ١٢٧١ .

وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاثر بن ارم بن نوح فدعاهم إلى عبادة الله وحدة لا شريك له ، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئاً به طائفة منهم ، وكفر جمهورهم ، ونالوا منه بالمقال والفعال ، وهموا بقتله ، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم "[1]" .

- وقد ذكر القرآن الكريم قصة هذا النبي مع قومه في مواضع كثيرة منها .

أولاً : ما جاء في سورة الأعراف : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا * قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره * قد جاءتكم بينة من ربكم * هذه ناقه الله لكم آية * فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ..... ﴾ .

إلى أن قال الله تعالى : ﴿ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يالصالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾"[2]" .

ثانياً : ما جاء في سورة هود : ﴿ والى ثمود أخاهم صالحاً ..... الآيات ﴾"[3]" .

ثالثاً : ما جاء في سورة الحجر : ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ..... الآيات ﴾"[4]" .

---

(١) قصص الأنبياء لأبن كثير تحقيق د / السيد الجميلي جـ١ / ١١٢ ط ١٩٨٩ م دار المكتب الثقافي .
(٢) سورة الأعراف : الآيات (٧٣ – ٧٩)
(٣) سورة هود الآيات (٦١ – ٦٨) .
(٤) سورة الحجر الآيات (٨٠ – ٨٤)

رابعاً :مـــا جـــاء فـــي ســـورة الشـــعراء : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ..... الآيات﴾"[1]" .

خامساً : مـــا جاء في سورة الإسراء : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات ..... الآيات ﴾"[2]" .

سادساً : مـــا جـــاء في سورة النمل : ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً ..... الآيات ﴾"[3]" .

سابعاً : ما جاء في سورة فصلت:﴿وأما ثمود فهديناهم ..... الآيات﴾"[4]"

وغير ذلك من المواضع في سور القرآن الكريم .

وقال ابن كثير : والمقصود من هذه الآيات : ذكر قصتهم وما كان من أمـــرهم وكيف نجى الله نبيه صالحا عليه السلام ومن أمن به ، وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام"[5]"

المراد بقوله تعالى : ﴿ كذبت ثمود بطغياها * إذا انبعثت أشقاها ﴾

قـــال أبـــو السعود : والطغوى بفتح الطغيان والباء للسببية أى فعلت الـــتكذيب بســـبب طغيانهـــا كما تقول ظلمني بجراءته على الله تعالى أوصـــله للتكذيب بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى " فأهـــلكوا بالطاغيـــة " وقـــرئ بطغواها بضم الطاء وهو أيضاً مصدر

---

(١) سورة الشعراء (١٤١ ـ ١٥٩) .
(٢) سورة الإسراء الآيات / ٥٩ .
(٣)ى سورة النمل الآيات (٤٥ ـ ٥٣).
(٤) سورة فصلت الآية (١٧ ـ ١٨) .
(٥) قصص الأنبياء لابن كثير جـ١ / ١١٥ .

كالـــرجعي إذا انبعث أشقاها منصوب بكذبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو من تصدى معه لعقر الناقة من الأشـــقاء فإن أفعل التفضيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضا به "[1]" .

وقال صاحب الظلال : (.... فأما في هذا الموضوع فهو يذكر أن ثمود بسبب من طغيانهم كذبت نبيها ، فكان الطغيان وحده هو سبب التكذيب وتمثل هذا الطغيان في انبعاث أشقاها ، وهو الذي عقر الناقة ، وهـــو أشـــدها وأكثرها بما ارتكب من الإثم ، وقد حذرهم رسول الله قـــبل الإقـــدام عـــلى الفعله فقال لهم احذروا أن تمسوا ناقة الله أو أن تمســـوا الماء الذي جعل لها يوما ولهم يوما كما اشترط عليهم عندما طلبوا من أية فجعل الله هذه الناقة آية .....

فكذبـــوا الـــنذير فعقـــروا الناقة والذي عقرها هو هذا الأشقى ولكنهم جميعاً حملوا التبعة وعدوا أنهم عقروها لأنهم لم يضربوا على يـــده ، بل استحسنوا فعلته وهذا مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في الـــتكافل فـــي التبعة الأجتماعية في الحياة الدنيا لا يتعارض مع التبعة الفردية في الجزاء الأخروى حيث لا تزر وازرة وزر أخرى "[2]" .

وقـــال ابن كثير : يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كـــانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب (بطغواها) أى بأجمعها والأول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيباً

---

(١) أبو السعود جـ ٥ / ٥٣٨ .
(١) في ضلال القرآن جـ ٦ / ٣٩١٩ .

فـــي قـــلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقيـــن (إذا انـــبعث أشقاها) أى أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقـــر الـــناقة وهـــو أحمير ثمود وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ فنادوا صـــاحبهم فـــتعاطى فعقـــر﴾ وكان هذا الرجل عزيزاً شريفاً في قومهم نسبياً رئيساً مطالعاً كما قال الإمام أحمد ..... عن عبد اللـــه بن زمعة قـــال خطـــب رســـول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال : " إذا انبعثت أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منبع في رهطه مثل أبي زمعة .....

وعـــن أبي مرثد ابن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : " ألا أحدثـــك بأشقى الناس قال : بلى ، قال : رجلان أحيمر ثمـــود الذي عقر الناقة والذي يضربك ياعلى على هذا – يعني قرنه – حـــتى تبل منه (يعني لحيته) وقوله تعالى : فقال لهم رسول الله يعني صالحا عليه السلام أي أحذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء وسقياها آي لا تعتدوا عليهما في سقياها فإن لهلا شرب يوم ونكم شرب يوم معلوم قـــال الله تعالى : ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أي كذبوه فيما جاءهم فأعقبهم ذلـــك أن عقـــروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم ﴾

أي غضـــب عـــليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حـــتى تابعة صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرهم دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها ، وقوله تعالى : ﴿ ولا يخاف ﴾

وقـرئ فـــلا يخـــاف " عقباها " قال ابن عباس لا يخاف الله من أحـد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدى (ولا يخاف عقباها) أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه "[1]" .

ما ترشد إليه الآيات :

أولاً : ترشـد الآيات الكريمة السابقة إلى أن قوم ثمود خالفوا الله ورسـوله في إرتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية .

ثانياً : كمـا أن الآيات ترشد إلى أنهم أستعجلوا وقوع العذاب بهـم مـا اسـتحقوه مـن وجهيـن : أحدهما الشرط عليهم والثاني استعجالهم على ذلك .

ثالثاً : أنهم كذبوا الرسول الذي قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه ، وهو يعلمون ذلك علماً جازماً ، ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم .

والله أعلى وأعلم وأجل وأكرم .

---

(١) تفسير بن كثير جـ ٤ / ٥١٨ .

الخاتمة

- هذا ما استطعت جمعه بقوة الله وحوله فإن وافق الحق والصواب فلله الشكر على ذلك ، وإلا فالعبد محل التقصير والخطأ ولاسيما مع الباع القاصر والعمد القصير ، وقلما يخلص مصنف أو جامع من الهفوات والنزلات .
- وأخيراً أن نحمد الله رب العالمين على ما وفقنا إلية وأعاننا عليه من إتمام تفسير هذه السورة الكريمة التي ضمت في طيأتها أعظم البراهين والحجج الدامغة على بيان قدرة الله تعالى في خلقه بوأن له مطلق المشيئة في القسم بما شاء من مخلوقاته ، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفعنا بهذا العمل ويجعل ذلك ميزان حسناتنا يوم القيامة .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

دكتور / عبد الظاهر عبد الباري علي عبيد
مدرس في قسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات بني سويف

مصادر البحث مرتبة على حروف المعجم بعد حذف " ال "

(١) القرآن الكريم جل من أنز له .
(٢) إرشـــاد العقل السليم لأبي السعود تحقيق عبد القادر أحمد عطا ط الثانية ١٤٠١ هـــ ١٩٨١ م دار الفكر .
(٣) التفسير الواضح د / محمد محمود حجازي ط العاشرة ١٤٠٦ هـــ ، ١٩٨٦ م دار التفسير بالزقازيق .
(٤) جامع البيان لأبن جرير ط ١٤٠٧ هـــ ، ١٩٥١ م دار الكتب بيروت .
(٥) الجـــامع لأحكـــام للإمـــام القرطبي ط الأولى ١٣٩٦ هـــ ، ١٩٤٦ م مكتبة الحلبي بالقاهرة .
(٦) روح المعـــاني فـــي تفســـير القـــرآن العظيم والسبع المثالي للألوســـي ط الـــرابعة ١٤٠٥ هـــ ، ١٩٨٥ م دار التراث العربي .
(٧) الإســـلام فـــي عصر العلم تأليف د / محمد أحمد الغرباوي ط الرابعة ١٤١١هـــ ، ١٩٩١م دار الإنسان بالقاهرة .
(٨) صحيح البخاري ط دار صعب بيروت .
(٩) صحيح الترمذي ط الجديدة الأولى ١٤٠٨ هـــ ١٩٨٧ م دار الكتب العلمية بيروت .
(١٠) غرائب القرآن للنيسابوري ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت .

(١١) فـــي ظلال القرآن الكريم ، سيد قطب ط السابعة عشر ١٤١٢ هـــ ، ١٩٩٢ م دار الشروق .
(١٢) فتح الباري لأبن حجر ط الثانية ١٤٠٩ هـــ ، ١٩٨٨ م دار الريان للتراث بالقاهرة .
(١٣) قصص الأنبياء للإمام ابن كثير تحقيق الدكتور / السيد الجميلي المكتب الثقافي القاهرة .
(١٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار الفكر .
(١٥) الـــنهر المـــاد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط الأولى ١٤٠٧ هـــ ، ١٩٨٧ م دار الجنان بيروت .